**تاريخ اوربا في عصر النهضة**

**المحاضرة التاسعة م.م. يسرى عماد الطه**

**حركة الاصلاح الديني في المانيا :**

كانت المانيا قبل بداية العصور الحديثة تمثل ما تبقى من الامبراطورية الرومانية المقدسة ، و كانت تلك الامبراطورية تتكون من اتحاد مئات من الولايات شبه المستقلة . و لما تولى الامبراطور مكسمليان 1493 – 1519 عرش الامبراطورية ظهرت في المانيا نهضة قومية و لكنها لم تستطع ان تصل الى تكون حكومة مركزية قوية .

و لما ظهرت حركة النهضة الاوربية كان لها اثرها الفعال في عقول مفكريها و نظراً لظروف المانيا الخاصة فقد ظهرت بمظهر ديني حيث بدأت بها حركة الاصلاح الديني .

أما الاسباب التي جعلت النهضة الاوربية تظهر بمظهر ديني ، و ذلك لان الكنيسة في المانيا كانت تسيطر سيطرة خطيرة على مقررات البلاد منذ ان سادت في العصور الوسطى النظرية القائلة بان البابا هو ظل الله على الارض و هي النظرية التي قللت من سلطان الحكام الاوربيين من اباطرة و ملوك و جعلت من حق البابا التدخل في الشؤون الدينية و السياسية لكل الحكومات باعتبار ان السلطة تاتي من عند الله .

و كان كل حاكم يشعر ان البابا في بلاده له نفوذ لايقل عن نفوذه و كان للكنيسة املاك في كل دولة من الدول الاوربية يتصرف بها البابا تصرف مستقل يفرض الضرائب على الرعايا لمصلحة الكنيسة .

و عندما تولى العروش في اوربا في عصر النهضة ملوك اقوياء كما في انجلترا و فرنسا و اسبانيا اخذ هؤلاء الملوك على عاتقهم معارضة سلطة البابا في بلادهم و نجحوا في تحدي سلطان و نفوذ البابوية .

ففي فرنسا اصدر الملك شارل السابع في عام 1438 مرسوماً ملكياً تحدى به سلطة البابا و سيطرته على شؤون الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية و بدأ بتعيين الاساقفة و غيرهم من رجال الدين في بلادهم

و في اسبانيا في عهد فرديناند و ايزابيلا اصبح من حق التاج الملكي تعيين رجال الدين و الكنيسة و اصدر اول مرسوم بذلك في عام 1442 و صدرت الاوامر بتحريم استئناف الاحكام التي تصدرها المحاكم الدينية في اسبانيا امام المحكمة العليا في روما

و في انجلترا اخذ سلطان البابا ينهار شيئاً فشيئاً منذ منتصف القرن الرابع عشر حتى تخلص الملوك نهائياً من التدخل البابوي في الشؤون الدينية للبلاد .

اما في المانيا فقد احتفظت الكنيسة الرومانية بقوتها سلطانها بسبب ضعف الامبراطورية و بالاخص في عهد الامبراطور فيدريك الثالث الذي استمر حكمه 53 سنة 1440 – 1493 و اكد هذا الامبراطور على حق البابا في السيطرة على الكنيسة الالمانية من خلال عقد اتفاق فينا 1448 .

و قد استغل البابوات هذا و بدأو التحكم و فرض الارادة على الشعب الالماني و ارسلوا الى المانيا اتباعهم من رجال الدين لجمع المال بكافة الوسائل و ارتكبت رسل البابا جرائم الرشوة و الابتزاز فكانوا يقبلون المال من المرشحين لوظائف الكنيسة ، و يجمعون المال بدافع حرب صليبية قريبة ضد الاتراك العثمانيين و غير ذلك من الحيل .

بدأت المجالس النيابية ( الريخستاج ) في الولايات الالمانية منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر تبعث رسائل الاحتجاج و التنديد بالاعمال و وسائل الابتزاز التي يقوم بها رجال الدين باسم الكنيسة في بلادهم الى روما و لكن دون جدوى .

و ان السبب الرئيس في التمرد و التشديد ضد البابوية هو التوسع في بيع رجال الدين لصكوك الغفران الذي اثار الجدل و المعارضة .

صكوك الغفران هي بدعة ابتكرها البابا بونيفاس السابع عام 1300 من خلال مرسوم بابوي مقدس يعرف بالغفران ، تقضي بانه اذا اعترف شخص اعترافاً كاملاً بذنوبه و تبرأ منها و ندم ندماً حقيقياً على خطاياه فانه يتخلص من عذاب الاخرة و يحصل على هذه المغفرة من خلال دفع هبه مالية .

اثار بيع صكوك الغفران في المانيا المصلح الكبير مارتن لوثر و جعله يتزعم ثورة دينية لاصلاح الكنيسة ترتب عليها ظهور المذهب البروتستاني ، و هو مذهب ثوري لم يقتصر اصحابه على المطالبه بوجوب تصحيح مساوئ الكنيسة فحسب بل طالبوا باصلاح الكنيسة نفسها و اقامة كنيسة تؤسس على المبادئ و الاسس المستمدة من الانجيل .

**مارتن لوثر و حركة الاصلاح 1483-1546 :**

ولد مارتن لوثر في قرية ثورينجيا بمقاطعة سكسونيا من ابوين يعيشان على فلاحة الارض ،و عاش في حداثة سنه في بيئة انتشرت فيها الخرافات الدينية و المعتقدات الزائفة التي صورة المسيح في صورة المنتقم الجبار الذي يتوعد الناس باشد انواع العقاب .

اهتم والداه بتعليمه فارسلاه الى المدرسة ثم الى جامعة إرفورت لدراسة القانون ، الا انه و بسبب الخوف و القلق الديني قرر عام 1505 ان ينخرط في سلك الرهبنه لعل في ذلك نجاة من خطاياه و ذنوبه .

دخل دير اوغسطين حيث انكب على الصلاة و التقشف و تعذيب النفس املاً في الوصول الى رحمة الله و عفوه ، و رسم كاهناً في عام 1507 و في الوقت نفسه كان يدرس علم اللاهوت حتى نال شهادة الدكتوراه و استدعى للتدريس في جامعة فتنبرج بمقاطعة سكسونيا 1508 .

لمع اسمه و التف حوله الرواد من تلاميذه المعجبين بارائه و تأملاته لا سيما في مسألة الخلاص و التطهر من الخطايا .

في عام 1510 زار روما و اطلع بنفسه على مفاسد البابوية فازدادت شكوكه و عظم ارتيابه و ظل يفحص و يتامل حتى اهتدى الى العقيدة التي بعثت في نفسه الهدوء و الرضا و الطمأنينة

كانت نظريته تتلخص في :

ان الايمان المطلق برحمة الله يكفل النجاة من عقابه ، ان الصلاة و العبادة بجميع طقوسها و اشكالها ليست كافية للخلاص من الخطايا و انما يتخلص الانسان من خطاياه باسداء الحمد و الشكر من قلب طاهر سليم الى العلي القدير .

تلك هي العقيدة التي اهتدى اليها مارتن لوثر من دراسته للكتاب المقدس و رسالة الرسول بولس الى مسيحي روما

سميت بعقيدة التبرير و الايمان

عاش مارتن لوثر بهذه العقيدة راضياً مطمئناً لبضع سنوات يبشر بها تلاميذه في هدوء و سلام دون تدخل من السلطة او الكنيسة الى ان جاء دوره ليعلن مبادئه و اراءه على الملأ و التي كان لها تأثير كبير في تغيير مجرى التاريخ الاوربي كله .

في عام 1517 جاء الى المانيا الراهب تتزل ليوزع صكوك الغفران فأثار ذلك مارتن لوثر و رأى ان يعلن احتجاجه علناً و انتهز فرصة اجتماع الناس في كنيسة فتنبرج في الاول من تشرين الثاني من كل عام و علق على باب الكنيسة احتجاجاً طويلاً يشمل 95 مادة ضد صكوك الغفران و اعلن في وثيقته عقيدة التبرير و الايمان .

في اثناء جداله مع يوحنا تتزل و غيره من مؤيدي الكنيسة ، انتقد لوثر نظام الكنيسة و سلطتها العليا و تعاليمها و صرح بان الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يرجع اليه و يعتمد عليه في تفسير العقائد و في جميع المسائل المختلف عليها و ان كل شخص مثقف باستطاعته ان يقرأ الانجيل و هو حر في تفسيره على حسب فهمه و ادراكه له و ان ليس للبابا الحق في احتكار تفسيره ، و يجب اباحة الزواج للقس و اخضاع رجال الدين للسلطة الزمنيه .

لاقت اراء لوثر رضا الكثيرين و التف حوله اتباع متحمسون في المانيا و هم الذين كانوا غير راضين عن تصرفات الكنيسة في روما و تحكم البابا في رقاب العباد و ادعاء بانه واسطة الغفران عند الله.

و في عام 1519-1520 عبأ لوثر الرأي العام بسلسلة من الكتابات الدينية التي ضمنها تفسير العقيدة الجديدة و اوضح ان ادعاء الاكليروس بانهم اصحاب الكلمة الاخيره و انهم يختلفون عن عامة الناس محض ادعاء كاذب و ان على الناس ان يبحثوا عن الحقيقة بانفسهم في الكتاب المقدس ، و في الوقت نفسه وجه دعوته الى امراء المانيا و فرسانها بان يتزعموا حركة الاصلاح و بنى تلك الدعوة على اساس ان رجال الدين خاضعين للسلطة الزمنية و ان عليهم واجب يجب تأديته لخدمة الانسانية و هو الاشراف على الدين في بلادهم و وجوب انقاص عدد الاديره و انه لا ضرورة للحج الى روما و نشر رأيه في زواج رجال الدين ، و اعنف نقد وجهه للكرادلة على حياة البذخ و الرفاهية التي يتمتعون بها

و كان رد الكنيسة على اراء و حركة مارتن لوثر بأن اصدر البابا ليو العاشر قرار الحرمان من الكنيسة ضده في كانون الاول 1520 ، و كان رد مارتن لوثر على القرار بان احرقه بصورة علنية امام الناس في ساحة وتنبرج و بذلك انقطعت كل صلة بين لوثر و الكنيسة ، و لم يكتفي البابا بذلك بل طلب من الامبراطور شارل الخامس ان يلقي القبض على لوثر و يقمع حركته و ينفذ به قرار الحرمان الصادر بحقه باعتباره خارج عن المسيحية .

استدعى مارتن لوثر للوقوف امام مجلس يمثل الامبراطورية في مدينة فورمس لمحاكمته في كانون الثاني 1521 ، و لما ناقشه مجمع فورمس في ارائه اصر على كل كلمه قالها او كتبها من قبل و عندئذ اعتبر خارجاً عن القانون و حكم عليه باهدار دمه و حرمانه من الحقوق المدنية في الامبراطورية .

الا ان فردريك امير سكسونيا و اخرين من امراء شمال المانيا وضعوه تحت حمايتهم ، و لجأ لوثر الى قلعة حصينة تحت حماية فردريك و بذلك نجا من العقوبة ، و ظل بمعزل عن العالم لمدة عام ترجم خلالها الانجيل الى اللغة الالمانية و كان لهذه الترجمة الاثر الكبير في احياء الادب الالماني و سهل على العامة فهم معاني الكتاب المقدس بعد ان كان التفسير منحصراً بيد رجال الدين .

و عندما غادر شارل الخامس المانيا لمعالجة بعض الشئون العاجلة من اسبانيا الا ان ثورة الاصلاح الديني لم تتوقف و انتشرت بين معظم طبقات الشعب الالماني و انفجرت تلك الثورة في عدة اشكال تبعا للضروف الاقتصادية و الاجتماعية التي كانت تعيشها المانيا ، حيث رأت بعض الطبقات في حركة لوثر سبيلاً لتحقيق ما كانت تطمع اليه من اصلاح و اتخذت العنف وسيله للوصول الى اهدافها .

قامت ثورتان خطيرتان ادتا الى الصدام بين السلطة و الشعب مما ازعج لوثر و خرج من مخبئه في قلعة وارتبورج ليعلن ان حركة الاصلاح الديني تتبرأ من اتخاذ العنف و اراقة الدماء وسيلة لتحقيق اهدافها .

الثورات هي :

1. حرب الفرسان
2. حرب الفلاحين